

سِلَاطَنَةُ عُمَانِ
وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الدِّينِيَّةِ
مَكْتَبُ الْإِفْتَاءِ



الكون

كل ذرة فيه هي كتاب حافل بآيات الله الدالة عليه

لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
أَلْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِيِّ
الْمُفْتِي الْعَامِ لِسُلْطَنَةِ عُومَانِ

الكون

كل ذرة فيه هي كتاب حافل
بآيات الله الدالة عليه



أصل هذا الجواب إجابة على سؤال طرح على
سماحة الشيخ في برنامج سؤال أهل الذكر
بتلفزيون سلطنة عُمان

لسماحة الشيخ العلامة
الأحمد بن محمد بن عبد الله الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

السؤال:

يزعم الملحدون أن نشأة الكون ما
كانت إلا صدفة بعد احتكاك استمر
ملايين السنين، فهل لدعواهم هذه
في مقاييس العلم ما يبررها؟!

الجواب:

دعوى أن الكون نشأ بنفسه صدفة - من غير أن تكون وراءه إرادة قاهرة مهيمنة على كل شيء ومدبرة لكل موجود من عزيز حكيم، وسع كل شيء علمًا وأحاط بكل ممكن قدرة - هي دعوى ساقطة أقل من أن يعتد بها أو تعرض على معايير الحكم أو مقاييس العلم، لأنها مجرد وهم ناشئ عن أفنٍ في التفكير، وخبل في التصور، وعمى عن الحق، ومكابرة للحقيقة، وما أشبه هذه المقولة بمقولة من زعم أن العالم كله وهم لا حقيقة له، وهو الذي تبناه بعض مرضى العقول ممن يدعون التجرد في البحث والاستقصاء في النظر كالسير جيمس جينز.

وقد أجاد الدكتور فرانك ألن عالم الطبيعة البيولوجية في مقاله المعنون «نشأة العالم: هل هي مصادفة أو قصد؟» في تسويته بين القول: إن العالم نشأ

صدفة والقول: إنه مجرّد وهم، في كون كل واحد منهما
مكابرة للحقيقة وإنكارًا للواقع، وقد تصدّر مقاله هذا
تسعة وعشرين مقالًا آخر حرّرها علماء متشعبون في
التخصصات العلمية كلهم نشأوا في بيئة مادية
بالولايات المتحدة الأمريكية بعيدين عن المؤثرات
الدينية، فجاءت مقالة كل منهم مبنية في بحث هذه
القضية على تخصصه العلمي، وقد هدى كل منهم
بحثه المجرّد إلى معرفة أن الوجود لا بد له من موجد
أزلي أبدي لا تدركه الأبصار، ولا تكيّفه الأفكار، ولا
يتخيّله الوهم، ولا يتصوّره العلم، اتصف بكل
الكمالات وتنزّه عن كل النقائص، وقد شكّلت مقالاتهم
هذه جميعًا كتابًا بعنوان «الله يتجلّى في عصر العلم».

وانتقد الدكتور ألن بشدة دعوى أن العالم خيال، كما
انتقد من زعم وجوده بطريقة الصدفة، وما أحراهما
بالانتقاد. فإن دعوى أنه خيال تقتضي أن المدّعي نفسه
مجرّد وهم، وأن نظريته لم تخرج عن حدود الوهم، وأن

كل ما يزخر به الكون من مفردات الوجود لا وجود له، وكل ما يشاهد من حياة وموت وإقبال وإدبار وظهور واختفاء وعزّ وذلّ وقوة وضعف وانتصار وهزيمة وغنى وفقر وصحة وسقم لا يعدو أن يكون خيالاً، ويترتب عليه أن تكون هذه الشمس المشرقة والقمر المنير والنجوم اللامعة والكواكب السيارة والمجرات الواسعة والأنهار المطردة والبحار المتموجة والرياح المرسلة والأمطار النازلة والأجواء المتقلّبة بين حرّ وبردٍ وشدة ولطف لا تعدو أن تكون خيالاً، وكذلك الاكتشافات العلمية والإنجازات العملية والمؤلّفات المختلفة في أنواع العلوم والبحوث المتنوعة في شتى المجالات وجميع المظاهر الحضارية ومقومات المدنية ليست من الحقيقة في شيء.

وإذا كان كلُّ شيءٍ وهمًا لا حقيقة له، فمن هو الواهم؟! إذ يترتب عليه أن لا وجود لمن يهم!!

هذا؛ وتزاحم هاتين الدعويين دعوى ثالثة ادّعاها الملاحدة القدامى - ومن بينهم معظم الفلاسفة

الأسبقين - وهي أن العالم قديم أزلي!! ومع ظهور سقوط هذه الدعوى بما يظهر على الكائنات من تقلب الأحوال وتغير الملابس التي تستحيل على القديم الأزلي، فإنه تجلّى في العصر الحديث من حقائق الكون ما يدكّ هذه النظرية من أساسها دكّا دكّا، وهو تناقص الحرارة الديناميكية تناقصًا مطردًا، يدلّ على انتهاء العالم قطعًا عندما تنتهي إلى درجة الصفر المطلق وهو شاهد قطعي على أن للعالم بداية كما أن له نهاية، إذ لو كان وجوده أسبق مما هو عليه بملايين أو مليارات من السنين لكان قد انتهى بهذا التناقص المطرد قبل وقتنا هذا بأمَدٍ طويلٍ، فكيف يتصوّر أن يكون أزليًا؟!

وإذا كان كل شيء يشهد بأن للعالم بداية، فهل يتصوّر أن تكون بدايته مصادفة كما يزعم ذلك الملحدون، الذين حرموا من نعمة العقل المفكر، وعطلوا بمكابرتهم حواسّهم عن الإدراك؟!!

لا ريب؛ أننا بإيماننا نرى أن هؤلاء أقلّ من أن يلتفت إليهم أو يُصغى إلى شبههم، ولكن لا بد من حوارهم بما يكشف عوارهم ويعرّي شبههم. وبما أن خطابنا مع ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولم يتذوّقوا طعم الإيمان ويستشعروا برد اليقين ولم تكتحل أبصارهم بنور القرآن، فإن حوارنا معهم سيكون وفق المقاييس المادية، وبناء على ما وصل إليه الباحثون المتجرّدون سواء منهم الفيزيائيون أو الرياضيون أو غيرهم، وهذا كما جادل إبراهيم عليه السلام قومه بحسب ما كانوا يعتقدون فقال كما يقولون: [هذا ربي] لكل من الكوكب والقمر والشمس، ليتوصّل إلى نقض معتقدهم وكشف وهمهم والنداء عليهم بالضلال والعمى فيما يعتقدون ويزعمون.

إن دعوى الصدفة هذه في وجود الكائنات بحثها الباحثون وانتهوا في بحثهم إلى أن الصدفة يستحيل بكل المقاييس أن تكون هي سبباً لنشأة الحياة، فإن

ارتباط الخلية بظاهرة الحياة لا سبيل للصدفة إليه، إذ هو البحر الذي لا ساحل له والذي تغرق سفن العقول في محيطه الهائج وتتحطم بين أمواجه العاتية وتتلاشى في خضم عبابه الشجاج، وعليه فلا سبيل إلى بحث إمكان وجود الحياة بطريقة المصادفة، ودعوى ذلك إنكار للحقائق العلمية والنتائج البحثية، فإن العلوم البشرية بأسرها تقف حائرة مشدوهة أمام هذا اللغز المعمى وترتد خاسئة حسيرة من دون حلّه، فإن ذلك معجزة ربّانية لا ندرك كنهها وإن شاهدنا آثارها.

أما بالنظر إلى الجانب المادي من الكائنات، فإن العلوم أيضًا ترتدّ خاسئة حسيرة من دون كشف سر وجوده، فإن أدق هذه الكائنات يستحيل وجوده بطريقة الصدفة بمقتضى جميع المعايير العلمية، إذ وجوده هو خروجه من غيب العدم إلى شهود الوجود، فأنى يكون ذلك صدفة، وهذا كما قال أحد كبار علماء الطبيعة: «إن العلم لا يملك أي تفسير للحقائق، والقول بأنها حدثت اتفاقًا إنما يعتبر

تحدّيًا وتصادمًا مع الرياضيات»، وإنما قصارى ما يمكن
بحثه وفق مقتضيات العلم وبحسب المعطيات الرياضية هو
تركّب الأجزاء الموجودة حتى تتكوّن منها وحدة منتظمة،
هل يمكن أن يكون ذلك بطريق الصدفة؟!

ولست في هذا الجواب مخترعًا لشيء من ذهني
وإنما أنقل ما قاله الباحثون واستنتجوه من تخصّصاتهم
العلمية، وإذا كان لي أي دور في هذا فهو مجرد
الإيضاح لغوامض ما أتوا به، ويتلخّص ما ذكروه في
العديد من الأمثلة نقصر على ذكر خمسة منها:

المثال الأول: لو كُتبت أرقام من (١ - ١٠) كل رقم
على حiale وأدخلت في كيس أو صندوق ثم أخرجت
واحدًا واحدًا، فإنه بلا ريب يحتمل أن يكون كل منها
هو الذي يخرج أولًا، وعليه فاحتمال أن يكون رقم (١)
هو الذي يخرج أولًا إنما هو واحد من عشرة (١، ٠)،
لاحتمال أن يزاحمه أي رقم من هذه الأرقام، ولا يعدّ
من الاستحالة في شيء أن يتحقّق ذلك.

[illegible]

وإذا كان ذلك في عشرة حروف تبدأ بالألف وتنتهي بالراء، فما بالك ما لو أدخلت حروف الهجاء كلها من الألف إلى الياء على هذا المنوال - وهي تسعة وعشرون حرفاً - فإن تتابعها بحسب ترتيبها في الخروج أبعد عن تصور العقل له ودخوله في حيز المحتمل.

وإذا كان هذا في خروج هذه الحروف وحداناً متقطعة بحسب ترتيبها المصطلح عليه، فما بالك بما ستجده في المثال الآتي.

المثال الثاني: لو فرض أن مطبعة فيها نصف مليون حرف أَلَمَّت بها هزة أرضية فأسقطت جميع حروفها في الأرض فاختلطت وتراكبت فإن المتبادر إلى العقل والمقبول بحسب مقتضى العادة أن تشكل هذه الحروف خليطاً غير متجانسٍ ولا متناسقٍ ولا احتمال وراء ذلك لأمر آخر، ولا ينتظر أحد أن يجد من هذه الحروف جملة مفيدة من الكلام مركبة تركيباً متقناً لغة وإعراباً، فإن ذلك مما لا يكاد يصدق العقل، وإذا كان

هذا في جملة واحدة فما بالك بجملتين مفيدتين، فإن وقوع ذلك أوغل في البعد وأبلغ في الاستغراب، وإذا امتنع ذلك في العقول فإن أشد امتناعاً منه أن يتركب من هذا الخليط شطر بيت موزون له معنى بليغ، وأشد امتناعاً منه أن يكون منه بيت كامل موزون مقفى، مترتبة كلماته، متناسقة معانيه، بليغ معناه.

وإذا امتنع ذلك فما بالك لو قيل بأن الهزة أوجدت من هذه الحروف قصيدة عصماء موزونة، مقفاة، منسجمة عباراتها، متناسقة أبياتها، متأخية معانيها تطرق من أغراض الشعر ما يأخذ بمجامع الألباب ويحرك أوتار النفس ويستثير كوامن شجونها، سواء كان مديحاً لمستحقه، أو هجاء لمن هو أهل له، أو رثاء لمرزأ عظيم، أو استثارة لعمل محمود، أو استجاشة لمشاعر راكدة، أو تنبيهاً لعزيمة نائمة، أو إحياء لهمة ميتة فإن ذلك - بلا ريب - أبعد من أن تستسيغه العقول أو يصدقه الواقع، ناهيك لو قيل إن هذه الهزة أدت إلى أن

تنظم من هذه الحروف أرجوزة جزلة الألفاظ، عميقة المعاني، فصيحة المباني، فائقة في فنها، بديعة في سبكها، اشتملت على أبواب فن من فنون العلم كالفقه أو أصوله أو مصطلح الحديث أو علوم القرآن أو النحو أو التصريف أو البلاغة أو المنطق، فإن ذلك يتبادر إلى كل ذي عقل أنه من المستحيل. وكذلك لو قيل إنه تكون منها كتاب منشور في شيء من هذه الفنون أو في الطب أو الهندسة أو في الحساب والرياضيات والجبر، جاء في فنه بما لم يسبق إلى مثله، وتضمن من التحقيق والتحرير ما عجزت عن مثله القرائح وكلت دونه همم الفحول من العلماء، فإن كل من سمع نحو هذا القول لا يكاد يعدّه إلا من الهذيان الذي لا ينشأ إلا عن مرض العقول وآفات النفس.

وبمثل هذا فتد الباحث الفرنسي سنتلانا دعاوى القائلين من الماديين الملاحدة بأن وجود العالم إنما نشأ عن اهتزاز الذرات بحيث نتج عنه تلاحمها وتناسقها

حتى تَكُونُ منها هذا الصنع العجيب من وحدات الكون وأنواع الموجودات، فقد تعقبهم بأن كل ما يكتب ويقال من جواهر الكلم وضروب العلم لا يخرج عن كونه متركَّبًا من الحروف الهجائية المصطلح عليها عند أرباب اللغات المتباينة. فلو كان تناسق وحدات الكون وانتظام أنواع موجوداته نتيجة اهتزاز ذراته لأمكن بكتابة حروف الهجاء مقطعة وإدخالها في صندوق وهزّه هزًّا عنيفًا أن يؤدّي ذلك بهذه الحروف إلى أن يتألف منها كتاب بليغ بديع في الطب، أو الهندسة، أو علم الاجتماع، أو علم النفس أو غيرها من فنون العلم، ولما استحال ذلك فأولى بالاستحالة أن يخرج بمثله عالم من العدم إلى الوجود في كل ذرّة من ذراته من بديع الصنع وعجيب النظام ما يذهب بكل لب ويحيّر كل ذهن.

ونحن نقول - مع ذلك - بأن الهزّة نفسها أثر لا بد له من مؤثر، فإن الفعل لا يقع إلا من فاعل ظاهرًا كان أو خفيًا.

المثال الثالث: لو اشتملت صيدلية على أنواع

الأدوية النافعة لأمراض شتى، من حبوب جامدة ومعاجين ومساحيق وسوائل وغيرها من أنواع الأدوية، فوقعت لها هزة زعزعت بناءها وطوّحت برفوفها، فتساقط ما فيها من الأدوية وتحطّمت زجاجاتها، فسالت سوائلها وتناثرت حبوبها واختلطت بها معاجينها ومساحيقها حتى لم يعد بالإمكان تمييز بعضها عن بعض، فغدت خليطًا لا يتميّز نوع من أنواعه عن سائر الأنواع، فإن نتيجة ذلك قطعًا فقدان هذه الأدوية جميعًا منافعها العلاجية، فإنها باختلاطها يفقد كل دواء منها خاصّيته في العلاج، وليس من المرجو أن يؤدي اختلاطها العشوائي إلى أن يتولّد منها دواء جديد لم يكن معهودًا من قبل، فيفيد في علاج داءٍ مستعصٍ، كالجذام والبرص والكمه، أو داء قتال كالسرطان، كيف ومن شأن كل دواء أن يمرّ بمراحل دراسية من ذوي الخبرات الفائقة وتقدر عناصره

بمقاييس دقيقة، ويجتاز مراحل من التجربة حتى ينجح ويكون مقبولاً عند الأطباء بعد التأكد من معرفة جدواه.

ناهيك أن الولايات المتحدة الأمريكية - بحسب اطلاعي قبل فترة من الزمن - يجرب فيها في كل عام نحو أربعين ألف دواء تقدر عناصرها بمقادير فائقة الدقة، وتجتمع على استنتاجها عقول بلغت في المهارة الطبية شأواً بعيداً، وهي ناتجة عن دراسات أخذت منهم جهداً فائقاً عقلياً ونفسياً، ولا يصلح من بين هذا العدد الهائل إلا دواء واحد لشفاء بعض الأمراض، فكيف يتصور أن يكون الاختلاط العشوائي بين الأدوية المختلفة يؤدي إلى تولّد نوع من الدواء لم يكن معروفاً من قبل يشفي من الأمراض المستعصية، ما ناءت به الأنفس وأنهكت به الأجسام وحرار في علاجه الأطباء الماهرون؟!!!

المثال الرابع: لو أن أنبوباً دقيقاً تتسع دائرة جوفه

لكرة واحدة، وكان طوله بقدر ألفي كرة، فأدخلت فيه

الكرات منتظمة مقدرة وكان لون نصفها أسود ولون نصفها أبيض، وكانت الكرات البيض في نصف الأنبوب والكرات السود في نصفه الثاني، وكان الأنبوب موصولاً بكرة كبيرة تتسع لأكثر من ألفي كرة من أنواع الكرات الموجودة في الأنبوب، ففتحت فتحة من الأنبوب إلى الكرة الكبرى وأميل نحوها، فتساقطت جميع الكرات في جوف الكرة الكبرى، واختلط أبيضها بأسودها، فذهب لونها وعادت ذات لون جديد يجمع بين السواد والبياض وهو اللون الرمادي، فمن المتبادر - طبعاً - إلى كل ذي ذهن أن يكون رجوعها إلى لونها الأول بحيث تتميز البيض عن السود والسود عن البيض من أصعب الصعب، واحتمال ذلك يكاد يكون ضرباً من الخيال، إذ نسبته هي بمقدار واحد من 10×489 ^{٦٠٠} صفر، ومعنى ذلك أن يكون رقم ٤٨٩ مسبوقاً بستمئة صفر على اليمين، وهو ما يعجز علم الرياضيات عن تحديده بالاسم، كما تعجز العقول عن تخيله.

المثال الخامس: يعود إلى دراسة في الذرة قام بها الرياضي السويسري الشهير تشارلز يوجين جاي، وقد اختار لدراسته أبسط الذرات من العضويات التي يمكن أن تشترك في تركيب خلية واحدة من خلايا الكائنات التي تعمر الوجود، وقد اجتهد في تبسيطها جدًا. فمع أن الوزن الذري لأبسط الأحيات هو ٣٤٥٠٠ اعتبر الذرات ٢٠٠٠ (ألفى ذرة)، وقام بتبسيط آخر فاعتبر أن الذرات هي نوعان فقط، بينما هي في الحالة العادية أربعة جواهر على الأقل، وهي الفحم والهيدروجين والأكسجين والآزوت بالإضافة إلى الكبريت والنحاس والفوسفور وغيرها من العناصر، وقام بتبسيط ثالث هو اعتبار الوزن الذري عشرة وسطية مع أن الفحم ١٢، والأكسجين ١٦، ٠٠، ٠٠٠.

ومن المعلوم أن دراسته ليس في خلق الذرة وإنما هي في تركيب أجزائها، هل يمكن أن تكون مصادفة فرأى أن ذلك يتوقف على ثلاثة عناصر:

أولها: المادة التي تحتاج إليها لتحقيق هذه المصادفة، وهي يجب أن تكون كتلة حجم كرتها يحتاج الضوء في قطع قطرها من السنين إلى رقم 10×1 ^{١٦٤} صفراً وهو رقم خيالي. ومن المعلوم أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ١٨٦ ألف ميل و ٣٠٠ ميل، وذلك يقدر بـ ٣٠٠ ألف كم، فيمكن للضوء أن يلف قطر الكرة الأرضية في الثانية الواحدة ٧ مرات، ويصل من الشمس إلى الأرض في بضع دقائق، ومعنى ذلك أن حجم هذه الكرة المادية يتجاوز جميع تصورات البشر وحساباتهم الخيالية.

ثانيها: الزمن، بحيث تحتاج في تركيب أجزائها بطريق الصدفة إلى زمن يبلغ قدره ببلايين السنين 10×1 ^{٢٤٣}.

ثالثها: الطاقة، بحيث يبلغ الضخ الحروري في الثانية الواحدة ٥٠٠ مليون تريليون هرة، ومع ذلك كله فإن احتمال الصدفة في ذلك لا تعدو رقماً واحداً من 10×2 ^{٣٢١} أي من رقم ٢ على يمينه ٣٢١ صفراً.

وإذا كان هذا في الذرة وحدها، فما بالك بهذا الكون المترامي الأطراف الذي لم تكتشف عقول البشر إلا زاوية صغيرة منه، وفي كل يوم تكتشف منه أبعاد لم تكن معلومة من قبل. فمنذ بداية تتبّعي لهذه الحقائق رأيت أن ما اكتشف من أبعاد الكون تضاعف على ما كان مكتشفًا من قبل أكثر من عشرين مرة، فمنذ أكثر من أربعين سنة وقع في يدي كتاب مجهول عنوانه، لأنه منزوع أوله وآخره، جاء فيه أن أبعد مجرة تبعد عنا بينها وبين الأرض خمسمائة مليون سنة ضوئية. وما هي إلا مدة قصيرة حتى وقع في يدي عدد من مجلة العربي الكويتية مُصَدَّرٌ بمقال لرئيس تحريرها آنذاك الدكتور أحمد زكي، يتناول المقاييس، ذكر فيه أن أبعد مجرة عن الأرض اكتشفت أخيرًا بأكثر تلسكوب بينها وبين الأرض ألفا مليون سنة ضوئية، وكان ذلك في عام ١٣٩٢هـ الموافق ١٩٧٢م. ولم تمضِ إلا أشهر معدودة حتى طالعنا الدكتور النجار بمقال

نُشر - فيما أرجح - في مجلة المجتمع الكويتية، جاء فيه أن أبعد مجرة بينها وبين الأرض خمسة آلاف مليون سنة ضوئية. وأخيرًا قبل بضع سنوات طالعنا الدكتور ماهر أحمد الصوفي في كتابه «الموسوعة الكونية الكبرى» بمعلومة تفيد أن أبعد مجرة بينها وبين الأرض ثلاثة عشر مليارًا من السنين الضوئية.

وإذا كان هذا ما اكتشفه البشر إلى الآن من أرجاء الكون، فما بالك بما لم يكتشفوه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]. وسيظل الناس يكتشفون من أرجاء الكون في كل فترة زمنية ما لم يكونوا عارفه من قبل، ومع ذلك كله سيبقى ما اكتشفوه وما سيكتشفونه زاوية صغيرة منه لا تساوي شيئًا بجانب ما خفي عليهم علمه من أرجائه المترامية.

هذا؛ وقد علمت أن هذه الدراسة، التي قام بها تشارلز يوجين جاي، إنما كانت على ذرة من أدق الذرات وأبسطها، وقد انتهى صاحبها إلى استحالة أن تتركب أجزاءها بطريقة الصدفة لاستلزام ذلك من المادة والزمن والطاقة ما يفوق كل تصوّر. ولقد لقيت دراسته رواجًا وقبولًا عند العلماء المتعمّقين في بحوث علوم الطبيعة، وكان ممن اعتمدها وتوكأ على عصاها الدكتور فرانك آلن في مقاله الذي سبق ذكره، والدكتور رسل لويل مكستر في مقاله بعنوان «الحائر الصغير يفكر».

وإذا كان هذا في ذرة هي من أبسط الذرات، فما بالك بهذا العالم المترامي، ناهيك أن كل مجرة من مجراته فيها من الأجرام الهائلة ما يعد بالمليارات أو يفوقها، فضلًا عما وراءها من عوالم لا يعلم كنهها إلا الله، كيف يتصوّر أن يكون ناشئًا بطريقة الصدفة مع أن النظام المتقن المحير الذي في الذرة هو نفسه في جميع أجرام هذا العالم ومجموعاتها ومجراتها، فهو

كله وحدة متكاملة ونظامه معقد أيما تعقيد. ويا ترى ما هي أعداد الذرات الذي اشتمل عليها هذا الوجود؟! على أنها جميعًا تتفاوت خفة وثقلًا بحسب عناصرها، وهي مائة وعنصران، أثقلها اليورانيوم وأخفها الهيدروجين، ووزن غرام واحد من اليورانيوم فيه ألفا مليون مليون ذرة، فما بالك بالهيدروجين!!؟

مع أن اليورانيوم هو في الخانة الثانية والتسعين، والهيدروجين هو في الخانة الأولى، فكيف يتصور عقل مع هذا أن يكون حدوث العالم بالصدفة، وهل يمكن أن يكون مدّعي ذلك من العقل في شيء؟؟!!

لا ريب أن كل ذا نهية يدرك بالفطرة أن هؤلاء أقل عقولًا وأخس فطرة من الحشرات، فإنها تسبح مع من يسبح بحمد الله تعالى، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقد أدرك

الباحثون في علم الطبيعة هذا التسبيح واعترفوا به، كما
سجّل ذلك إسحاق واطسون في قوله: «إن الطبيعة
تحمل كتابها المفتوح وتسبّح بحمد الله وجلاله».

وقد دوت من حناجرهم صيحات شهاداتهم
بشهودهم الوجود الحق فيما شهدوه من آياته المتجلّية
في ذرّات جميع الوجود، فقد قال عالم النبات المشهور
آساجراي في محاضراته التي ألقاها في جامعة ييل
١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م : «إن ما تنقله العلوم من عالم المجهول
إلى عالم الطبيعة لا ينال من الإيمان أو يتعارض معه،
فالعلوم تسير في نفس الاتجاه الذي تسير فيه الطبيعة،
وعلى ذلك فإن وظيفة العلوم هي العمل على أن ترد
ظواهر الكون في نشأتها الأولى إلى قدرة الله وجلاله».

وقال واين أولت المتخصص في الكيمياء
الجيولوجية في مقاله «التوافق بين العلوم»: «إن ذلك
النظام البديع الذي يسود هذا الكون يدلّ دلالة حتمية

على وجود إله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء
تخبط خبط عشواء». وجاء - في مقال للدكتور جورج
إيرل دافنس تحت عنوان «الكشوفات العلمية تثبت وجود
الله» - قوله: «إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد
بوجود الله وإنها تدل على وجوده من دون حاجة إلى
الاستدلال، لأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها».

وقال إدوارد لوثر كيل: «إن دراسة العلوم بعقل
متفتح تجعل الإنسان يسلّم بضرورة وجود الله والإيمان
به». وقال ماريت ستانلي كونجدين في مقاله «درس من
شجيرة الورد»: «إن جميع ما في الكون يشهد على
وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما
نقوم - نحن العلماء - بتحليل ظواهر هذا الكون
ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا
نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته، ذلك هو
الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية
المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا، وفي كل

ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله، وآثار قدرته».

وقال لورد كيلفن - وهو من علماء الطبيعة البارزين في العالم: «إذا فكرت تفكيرًا عميقًا فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله». وأورد جون كليفلاند كوثران في مقال له تحت عنوان «النتيجة الحتمية» كلامه وأتبعه: «ولا بد أن أعلن عن موافقتي كل الموافقة على هذه العبارة»، واختتم مقاله بقوله: إن التقدم الذي أحرزته العلوم منذ أيام لورد كيلفن يجعلنا نؤكد بصورة لم يسبق لها مثيل ما قاله من قبل، من أننا إذا فكرنا تفكيرًا عميقًا فإن العلوم سوف تضطرننا إلى الإيمان بالله».

وقال پول كليرانس ابرسولد في مقاله «الأدلة الطبيعية على وجود الله»: «إن العلم والعقل الإنساني وحدهما لن يستطيعا أن يفسرا لنا لماذا وجدت الذرات والنجوم والكواكب والحياة؟ والإنسان بما أُوتي من

قدرة رائعة. وبرغم أن العلوم تستطيع أن تقدّم لنا نظريات قيّمة عن السديم ومولد المجرات والنجوم والذرات وغيرها من العوالم الأخرى، فإنها لا تستطيع أن تبين لنا مصدر المادة والطاقة التي استخدمت في بناء هذا الكون، أو لماذا اتخذ الكون صورته الحالية ونظامه الحالي. والحق أن التفكير المستقيم والاستدلال السليم يفرضان على عقولنا فكرة وجود الله.

وقال أيضًا: «إن الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة، هو أن الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق، بل إن لهما بداية، ولا بد لكل بداية من مبدئ. كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المعقد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية، كما أن وراءها توجيهًا وتدبيرًا خارج دائرة الإنسان. إنها بداية مقدّسة وتوجيه مقدس وتدبير إلهي محكم».

وقال توماس دافيز باركس في مقاله «الماء يروي لك القصة»: «وإنني أجد شخصيًا أن تفسير هذه الظواهر والعجائب بنسبتها إلى قدرة إله حكيم خبير وتصميم خالق علوي، يعدّ تفسيرًا مرضيًا للنفوس ومقنعًا للعقول.

إنني أرى في كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد عن العاطفة، إنني أ لمس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم.

وقال جون وليم كلوتوس في مقاله «الله والكون المعقد»: «إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده».

وقال ايرفنغ وليام في مقاله «المادية وحدها لا تكفي»: «إن العلوم لا تستطيع أن تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها والتي لا يحصيها عدّ، وهي التي تتكوّن منها جميع المواد، كما لا تستطيع العلوم أن تفسّر لنا بالاعتماد على فكرة المصادفة وحدها كيف تتجمّع هذه الدقائق الصغيرة لكي تكون الحياة. ولا شك أن النظرية التي تدّعي أن جميع صور الحياة الراقية قد وصلت إلى حالتها الراهنة من الرقي بسبب حدوث بعض الطفرات العشوائية والتجمعات والهجائن، نقول إن هذه النظرية لا يمكن الأخذ بها إلا عن طريق التسليم، فهي لا تقوم على أساس المنطق والإقناع».

وقال: «والعلوم بحكم طبيعتها المادية أعجز من أن تبحث عن الله بطرقها المادية أو أن تدرك كنه ذاته تعالى، ولكن ملاحظة عجائب هذا الكون قد دعت كثيرًا من علماء الفلك الأمناء إلى الاعتقاد بأنه لا بد أن

يكون لهذا الكون باتساعه الفسيح ونظامه المعجز،
مدبر لا نراه، ولا نستطيع أن ندرك كنهه».

وقال أيضًا: «إنني أعتقد في وجوده سبحانه لأنني لا
أستطيع أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر
لنا ظهور الإلكترونات والبروتونات الأولى أو الذرات
الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم
الأول أو البذرة الأولى أو العقل الأول، إنني أعتقد في
وجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد
لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها».

وقال لورنس كولتون ووكر في مقاله «حقائق من
سجل الغابات»: «إن عجائب الكون لا تسمح بالإيمان
فحسب، بل تدعو الناس إلى هذا الإيمان، وإن
الاستدلال بالكون على وجود الله قد عاد إلى الظهور
من جديد في عصر النهضة والتفكير بسبب انهيار
النظرية الآلية في تفسير الكون بعد أن كادت هذه
النظرية تقضي على هذا النوع من الاستدلال».

ويقول فليبيس: «لقد ظهر الحق. فمنذ بدأ الله هذا الكون تتجلى آياته وقوّته الخالدة في كل ما يقع عليه الحسّ أو يحيط به العقل».

وقال رسل تشارلز آرتست في مقاله «الخلايا الحية تؤدّي رسالتها»: «إنني أعتقد في أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق، ولذلك فإنني أؤمن بوجود الله إيماناً راسخاً».

وقال دونالد روبرت كار في مقاله «موجّهات جيولوجية»: «إن الكيمياء الجيولوجية التي أدرسها تعلمنا أن ننظر إلى الأشياء نظرة واسعة. وأن نفكر في الزمان على أساس بلايين السنين، وإلى المكان نظرة تشمل الكون بأسره، وإلى العمليات المختلفة بحيث تشمل دوراتها الكون كلّه. إن مثل هذه النظرة إلى

الأمور تجعلنا نزداد تقديرًا لعظمة الله وجلاله. أما غير المؤمنين فسوف يمثلون رهبةً ورعبًا، وقد يضطرون آخر الأمر أن يسلموا بأن السماوات تشهد بعظمة الله وأن إحكامها يدلّ على بديع صنعته».

وقال كلودم هاتا واي في مقاله «المبدع الأعظم»: «ليس العالم من حولنا إلا مجموعة هائلة من التصميم والإبداع والتنظيم. وبرغم استقلال بعضها عن بعض، فإنها متشابكة متداخلة، وكل منها أكثر تعقيدًا في كل ذرة من ذرات تركيبها من ذلك المخ الإلكتروني الذي صنعته. فإذا كان هذا الجهاز يحتاج إلى تصميم، أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيميائي البيولوجي الذي هو جسمي، والذي ليس بدوره إلا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وإبداعه، إلى مبدعٍ يبدعه».

وقال أيضًا: «إن هذا الكون ليس إلا كتلة هائلة تخضع لنظام معيّن، ولا بد له إذا من سبب أول لا يخضع

للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، ولا بد أن يكون هذا السبب الأول غير مادي في طبيعته».

وقال إدوين فاست في مقاله «نظرة إلى ما وراء القوانين الطبيعية»: «عندما تحاول عقولنا المحدودة أن ترتدّ إلى الوراء، وتبحث عن ساعة الصفر في تاريخ هذا الكون، نجدها تسلم ضمناً بأن لهذا الكون بداية ولحظة معينة نشأت فيها الذرات الدقيقة التي تتألف منها مادة هذا الكون، ولا بد أن تكون خواص هذه الجزيئات التي تحدّد سلوكها، قد ظهرت معها في نفس الوقت، ومن المنطق السليم أن يكون السبب الأول الذي أوجد هذه الجزيئات هو الذي أودع فيها صفاتها التي تحدّد سلوكها. ولا بد أن نسلم بأن قدرة الخالق وتدبيره وإحكامه تفوق قدرة وتدبير الإنسان، بل البشر جميعاً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وإن أذكى العلماء لا يستطيعون إلا أن يعترفوا بأن الإنسان لا يزال حتى اليوم في مهد معرفته بأسرار هذا الكون وظواهره.

فإذا انتقلنا إلى العالم العضوي، فإننا نلاحظ أن سلوكه يزداد تعقيداً، وعلى ذلك فإن احتمال تفسير هذا السلوك على أساس المصادفة المحض يتضاءل إلى حد لا نهائي، فالمواد الأساسية التي تدخل في بناء المواد العضوية هي الهيدروجين والأوكسجين والكربون مع كميات قليلة من النيتروجين والعناصر الأخرى، ولا بد أن تجتمع ملايين من هذه الذرات حتى تتكون أبسط الكائنات الحية، فإذا نظرنا إلى الأنواع الأخرى التي هي أكبر حجمًا، وأشد تعقيداً، فإن احتمال تألف ذراتها على أساس المصادفة المحض يقلّ إلى درجة لا يتصورها العقل.

وإذا نظرنا إلى الكائنات الحية الراقية، فإننا نرى أن من بينها ما لديه من الذكاء ما يجعله قادرًا على التخطيط والابتكار والقيام بأعمال تقرب من حد الإعجاز، وتحاول أن تتغلب على القوانين الطبيعية. فإذا تصوّرنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي

تجعل الجزيئات تجتمع بصورة معيّنة لكي تكوّن ذرّات يتآلف بعضها مع بعض لكي تكوّن أجسامًا تقوم بدورها بالتكاثر، وأداء سائر وظائف الحياة، ويكون لها عقل وتفكير، من دون أن يكون وراء كل ذلك إله مدبر هو الذي خلق فسوّر فأبدع، فإن ذلك ما لا يقبله عقل أو يتصوّره فكر. وحتى إذا فعلنا ذلك فإننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العملية، وطرحنا وراء ظهورنا فرضًا منطقيًا بسيطًا ألا وهو وجود الله الذي أنشأ هذا الكون وبدأه بقدرته. فالله هو المبدئ. كلمات بسيطة ولكنها بسيطة تتسم بالجلال.

إنه جلال الحق وقديسيته.

وقال جون أزولف بوهرلر في مقاله «الله والقوانين الكيماوية»: «إن الإنسان يشاهد التنظيم والإبداع حيثما ولى وجهه في نواحي هذا الكون، ويبدو أن هذا الكون يسير نحو هدف معين، كما يدل على ذلك النظام الذي نشاهده في الذرّات، فهناك نظام معين تتبعه الذرّات

جميعًا من الهيدروجين إلى اليورانيوم، وما بعد اليورانيوم، وكلما ازداد علمنا بالقوانين التي تتحكم في توزيع البروتونات والإلكترونات لإنتاج العناصر المختلفة، ازداد إيماننا بما يسود عالم المادة من توافق ونظام. وقد يجيء اليوم الذي ينكشف لنا فيه كيف تتجمع الطاقة لكي تكوّن تلك الكتل من المادة، ولقد كان آينشتاين أول من أظهر العلاقة الموجودة بين المادة والطاقة، ولا يزال الإنسان في بداية الطريق لكشف أسرار الطاقة الذرية، وقد نستطيع في يوم من الأيام أن نحوّل الطاقة إلى مادة.

وتدلّ الشواهد على وحدة الكون من الوجهة الكيماوية. ولدينا من الطرق والوسائل ما يمكننا من اختبار كثير من العناصر الموجودة في الكواكب الأخرى، ومعرفة أنها هي نفس العناصر التي توجد على الأرض. وحتى النجوم البعيدة عنا، فإنها تشتمل على عناصر مشابهة لعناصر الأرض، ويعتقد العلماء أن

القوانين الطبيعية التي تتحكم في هذا الكوكب هي
عينها القوانين التي تخضع لها النجوم والكواكب
الأخرى في أفلاكها النائية المترامية في الفضاء. فحيثما
اتجهنا نجد الإبداع والنظام والتوافق، حتى لم يبق
هنالك ظل من شك عندي في أن إلهاً قادراً قد أبدع
هذا الكون وبناه، وحدّد وجهته وغايته».

وقال إيرل تشتر ريكس في مقاله «الكون تحت
سيطرة مركزية»: «إنني أجد بوصفي من المشتغلين
بالعلوم أن النتائج التي وصلتُ إليها بدراستي العلمية
عن الله والكون تتفق كل الاتفاق مع الكتب المقدسة
الدينية، التي أؤمن بها، وأعتقد في صدق ما جاءت به
عن نشأة الكون وتوجيه الله له. وقد يرجع ما نشاهده
أحياناً إلى التعارض بين ما توصّلت إليه العلوم، وبين
ما جاء في هذه الكتب المقدسة إلى نقص في
معلوماتنا، فقد أشار الإنجيل مثلاً إلى أن قدماء
المصريين، كانوا يستخدمون القش في صناعة الطوب،

وهو رأي لم تؤيده دراسة الحفريات المصرية، ولكن علماء الآثار ما لبثوا أن اكتشفوا أن القش كان يعطن أولاً في المخامر، ثم يؤخذ بعد ذلك فيخلط بالطين، ويدخل في صناعة الطوب ليزيد من صلابته. فعلينا إذاً أن نترى عندما نجد بعض التعارض بين ما تحدّثنا عنه العلوم وبين ما يحدّثنا عنه الدين حتى تتبين لنا الحقيقة.

والنظريات الحديثة التي تفسّر نشأة الكون والسيطرة عليه بصورة تخالف ما جاء في الكتب السماوية، تعجز عن تفسير جميع الحقائق وتزج بنفسها في ظلمات اللبس والغموض، وإنني شخصياً أؤمن بوجود الله وأعتقد في سيطرته على هذا الكون».

وقال ديل سوارتزن دروبر في مقاله «عجائب التربة»: «وكلما ازدادت دراسة وتعمقاً في دراسة طبيعة التربة والنباتات، ازداد إيماني بالله وسجدت له إعجاباً وتقديساً».

وقال واين أولت المتخصّص في الكيمياء الجيولوجية في مقاله «التوافق بين العلوم» «إن التطلع نحو المعرفة والتساؤل عن كيفية حدوث الأشياء ومسبباتها، يعتبران من الصفات المهمة التي تتّصف بها العقول البشرية الموهوبة، فإذا آمن المشتغل بالعلوم بخالق هذا الكون فإن دراسته العلمية مهما كان اتجاهها سوف تزيده إيماناً بالله».

وقال پول إرنست أدولف الطبيب والجراح في مقاله «الله والعلاج الطبي»: «نعم هنالك إله. ولقد عرفته في مواطن كثيرة، وهو الذي يشفي العظام المكسورة والقلوب المحطّمة».

وقال سيسل هامان العالم البيولوجي في مقاله «الزهر وطيور بالتيemor»: «ولقد كشفت قوانين الكيمياء الحيوية من أسرار الحياة وظواهرها ما لم تكشفه القوانين في أي ميدان آخر من ميادين الدراسات

العلمية. لقد كان الناس ينظرون إلى خفايا عمليات الهضم والامتصاص، ويستدلون بها على وجود التدبير المقدس. أما في الوقت الحاضر فقد أمكن شرح هذه العمليات ومعرفة التفاعلات الكيموية التي تنطوي عليها والخميرة التي تقوم بكل تفاعل. ولكن هل يدل ذلك على أنه لم يعد لله مكان في كونه؟ فمن إذا الذي دبر لهذه التفاعلات أن تسير؟ وأن تسيطر عليها الأنزيمات تلك السيطرة الدقيقة المحكمة؟ إن نظرة واحدة إلى إحدى الخرائط التي تبين التفاعلات الدائرية العديدة وما يدور بين كل منها والآخر من تفاعلات أخرى، كفيلة بأن تقنع الإنسان بأن مثل هذه العلاقات لا يمكن أن تتم بمحض المصادفة. ولعل هذا الميدان يهيئ للإنسان من العلم ما لا يهيئه أي ميدان آخر بأن الله يسير هذا الكون تبعاً لسنن رسمها ودبرها عندما خلق الحياة».

هذه أمثلة من اعتراف المتخصصين في العلوم الطبيعية بضرورة الإيمان بوجود الله، وأن العلوم من

دونه تكون ميتة خاوية من الروح التي تبعث فيها الحياة، كما اعترف بذلك بعض الفلاسفة من بينهم هكسلي الذي قال: «العلم والدين توأمان متلاصقان فصلهما يؤدي إلى موتهما، فالدين يثبت متى كان علميًا، والعلم ينمو متى كان دينيًا»، ومثله قول العالم الفيزيائي الألماني ماكس بلانك صاحب نظرية الكم: «إن الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان في معركة ضد الشك والجحود والخرافة، وقد كانت الصيحة القاضية وسوف تكون دائمًا إلى الله».

وأنت تعلم أن هؤلاء جميعًا إنما ألجأهم إلى الاعتراف بوجود الله سبحانه وإعلانهم ذلك في تلك المجتمعات المادية ما وصلوا إليه من خلال البحوث العلمية التي أقامت شاهداً عليهم من كل جزيئة في أي خلية من جسمهم يدفعهم إلى الاعتراف بوجوده سبحانه وتديره لكل شيء وإحاطته بكل ما في الكون، كما أقامت عليهم شاهداً من كل ذرة في هذا الوجود

فلم يملكوا إلا أن تفوه ألسنتهم بما بهر عقولهم من هذه الحقيقة التي هي أصرح من أن تحتاج إلى بيان أو تعريضها للشبهات أو تلبس فيها الأفهام.

وعندما اكتشف العالم الروسي الكيميائي مندليف القانون الدوري للعناصر الكيميائية. كان اكتشافه انفجاراً مدوياً نفس الفكر الإلحادي فتطايرت ذراته هباء منبثاً لأن القانون لا بد له من مقنن، ويستحيل أن ينشأ بالمصادفة المزعومة، فقد وجد أن العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة، لذلك تتشابه خواصها، ومن المستحيل رد ذلك إلى مجرد المصادفة العمياء.

وقد حلّ العالم الكيميائي الرياضي جون كليفلند كوثران دلالة هذا الاكتشاف القطعية على استحالة نشأة هذا الكون مصادفة بما ملخصه: إنه يستحيل أن يكون بطريق المصادفة تفاعل ذرات عنصر (أ) مع ذرات

عنصر (ب) وعدم تفاعلها مع ذرات عنصر (ج). فقد علم من ذلك أن هناك نوعًا من الميل أو الجاذبية بين العنصرين الأولين، ولم يكن ذلك بين الأول والثالث، وعزز هذه الدلالة أن سرعة التفاعل بين المعادن القلوية والماء تزداد بزيادة أوزانها الذرية بينما تسلك عناصر الفصيلة الهالوجينية سلوكًا مناقضًا لهذا السلوك، ولا يعرف سبب هذا التناقض، ويمتنع كل الامتناع أن يكون راجعًا إلى محض المصادفة، إذ لا يظن أنه يتعدّل سلوك هذه العناصر بعد مدة من الزمن طالت أو قصرت، ولا يتصور أن يتوقف هذا التفاعل بين هذه الذرات أو أن يكون بطريقة عكسية أو عشوائية.

وثبت اكتشاف تركيب الذرة أن التفاعلات الكيماوية والخواص التي تلاحظ إنما ترجع إلى قوانين خاصة لا إلى محض مصادفة عمياء، فالعناصر الكيماوية المعروفة هي مائة وعصران، بينها أوجه من الشبه والاختلاف. فمنها الملوّن وغير الملوّن، وبعضها

غاز يصعب تحويله إلى سائل أو صلب ، وبعضها سائل والآخر صلب يصعب تحويله إلى سائل أو غاز، ومنها ما هو هشّ ومنها ما هو شديد الصلابة، وبعضها خفيف وبعضها ثقيل، وبعضها موصل جيد، وبعضها رديء التوصيل، ومنها ما هو مغناطيسي وما هو غير مغناطيسي، وفيها النشيط والخامل، وبعضها يكون أحماضًا وبعضها يكون قواعد، وبعضها معمر وبعضها لا يبقى إلا لفترة محدودة من الزمن، ومع ذلك فهي جميعًا تخضع لقانون واحد وهو القانون الدوري المشار إليه.

هذه حصيلة كلامه، وهو شاهد بلا ريب أن وراء هذا القانون من أرائه فأوجده لينتظم هذا الشتيت من الطبائع ويؤلف بين هذه الأضداد من العناصر وإلا لما كانت لتنظم بهذه الصورة وتتألف وفق هذا القانون.

وقد توالى الاكتشافات في علوم الطبيعة تعزّز ببراينها الساطعة إيمان المؤمنين وتفضح بحججها

الدامغة إلحاد الملحدين حتى توجت هذه الاكتشافات
 باكتشاف الهندسة الوراثية التي أتت طوفاناً علمياً هائلاً
 يمحو كل أثر لرسوم الإلحاد في أدمغة المفكرين، إذ
 تجلى به من آيات الله تعالى في الخلق ما يذهل البصائر
 ويحير الأبصار.

ناهيك ما حرره الكاتب أردوخان محمد علي في
 مقاله الذي نشرته مجلة المجتمع الكويتية في عددها
 (١٧٩٧) بتاريخ ٦ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ الموافق
 ٢٠٠٨/٤/١٢م بعنوان «الشريط الوراثي ينقض أسس
 الفلسفة المادية»، وكان مما احتواه مقاله أن الجزئية
 فيها من أسرار خلق الله ما لو شرح لملا تسعمائة ألف
 صفحة أي أربعين ضعف الموسوعة الطبية البريطانية
 وهي في أربعين مجلداً!!!

وإذا كان هذا ما اكتشف في الجزئية فما بالك بما
 تحويه الخلية، فإن في كل خلية عدداً هائلاً من

الجزئيات وهي المعبر عنها في الاصطلاح الطبي بالكروموسومات، فقد جعل الله ﷻ من التناسق في تكوينها والانسجام في أداء وظائفها ما يذهب بكل لب، فأنى للمصادفة العمياء أن تخلق ذلك ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

وقد أخبرني أحد مهرة الأطباء أن خريطة الجينات التي اكتشفت سيستغرق شرحها ثلاثمائة عام، لأنها بحر من العلم لا ساحل له ولا قعر، وما يدرينا ما سوف يكتشف في القرون الآتية، فإن آيات الله تعالى لا تحصى، وهو يقيم بكل اكتشاف حجته على المعاندين من خلقه.

وبعد هذا كله هل ترون هؤلاء الملحدين بقوا على شيء من العقل مع معاندتهم لهذه الحقائق وإعراضهم عن هذه البراهين وتكذيبهم لهذه الشواهد، ألا فليخسأ الملحدون، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * [التوبة: ٣٢ - ٣٣]، وستبقى
الحقيقة - رغم عنادهم - ساطعة نيرة لا يضيرها إنكار
من أنكر وجحد من جحد وسيبقى الحق حقا لا
يزعزعه الباطل ولا ينال من شرفه وقديسيته، * بَلْ
نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ
مِمَّا نَصِفُونَ * [الأنبياء: ١٨].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

المحضر محمد الخليلي

مسقط - ٥ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ